أثَرُ اخْتِلافِ القِرَاءَاتِ فِي التفْسير

خمسة نماذج مختارة مِن سُورتَي (الحِجْر والنَّحْل)

من الجزء (الرابع عشر) *

إعداد

د. عدنان بن عبد الرزّاق الحموي العلبيّ **

ملخص البحث

يعدُّ الاختلاف في أوجه القراءات ثروة غنية وكنزاً ثميناً من كنوز التشريع الإسلامي، بما يحويه من معان ودلالات ذات آثار تشريعية قيِّمة في مجال التفسير واللغة والفقه والأحكام.

ويتخطَّى معنى الأمر من النبي ﷺ بقراءة ما تيسَّر من الأحرف السبعة والإصابة فيها إلى ما هو أبعد من ذلك فهماً وتحليلاً، يتجلَّى في التوجيه إلى التبصُّر والاستنباط، والنظر والاجتهاد في مدلولات تلك الاختلافات، والغوص بحثاً عن الآثار الناتجة عن تلك القراءات.

ويظلُّ القرآن الكريم معجزاً في كل ما تحمله كلمته واسمه من معان - إعجازاً يستمدُّ ديمومته من حفظ القرآن وبقائه إلى قيام الساعة، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]؛ يتجلَّى ذلك الإعجاز في لغته ومعانيها، وفي دقة دلالاتها وما يمكن الاستنباط منها، وفي وجوه تفسيرها، وفي فقهه وبيانه. مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٩].

وفي هذا البحث محاولة متواضعة لدراسة خمسة نماذج منوعة من الجزء (الرابع عشر) لسورتَي (الحِجْر والنَّحْل) حصراً تخيَّرت فيها من المفردات المختلَف في القراءة

---

* أجيز للنشر بتاريخ ٢٠٠٧/٩/٥م.

** أستاذ مساعد منتدب – بقسم الدراسات الإسلامية، كلية القانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة.

بها اختلافاً متواتراً مما تميَّزت به من أثر تشريعي بالغ الأهمية، أو تفسير تتجلَّى فيه مرونة التشريع ويسره، أو توجيه لغوي يثري النص تفسيراً وتحليلاً، ويضفي إليه من الشمول والتكامل ما لا يخفى.

وقد سلكت في البحث منهجاً واضحاً التزمت فيه بيان أوجه اختلاف القراءة عند القرَّاء السبعة، ثم بيَّنت التوجيه النحْويَّ واللغويَّ في هذه الأوجه، لأصِلَ إلى ما تمخَّض عنه هذا الاختلاف من آثار في التفسير والأحكام الفقهية وغيرها، ثم خلصت إلى توجيه اختلاف القراءات، وما أثْرَتْه من حيث المضمون: لغة، ودلالة، وتفسيراً، معتمداً في ذلك على الأقوال المعتمَدة لأهل العلم والاختصاص.

مُقَدِّمَةٌ:

تمهيد: يُعدُّ علم القراءات من العلوم الهامَّة المتعلِّقة بكتاب الله تعالى تلاوة وتشريعاً وفهماً، حيث تنوُّعُ وجوه قراءة النص القرآني رافدٌ غزير، يُثْري التشريع في أحكامه، ويُدعِّمُه بدلالاته.

تعريف القراءات: القراءات جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر الفعل: (قرأ)، بمعنى: تلا، وفي الاصطلاح كما عرَّفه ابن الجزري: هو علمٌ بكيفياتِ أداء كلماتِ القرآن واختلافها. وعليه فإن هذا العلم يتَّصل بأمرين اثنين؛ الأول: كيفية القراءة، حيث الاعتماد على أصول هذه القراءات التي أُخِذَتْ بالسند عن رسول الله ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن ربِّ العزة سبحانه وتعالى. والثاني: معرفة اختلاف هذه القراءات وتوجيهها، والوقوف على حكمها.

نشأة علم القراءات: مما لا شك فيه أن المعوَّل عليه في قراءة القرآن الكريم إنما هو التلقِّي والمشافهة والأخذ؛ ثقةً عن ثقة، وإماماً عن إمام، بسند متصل إلى النبي ﷺ. ويرجع تاريخ القراءات إلى عهد الصحابة ﷺ، حيث اشتهر بالإقراء منهم: عثمان بن

عفان وعليّ بن أبي طالب وأُبَيّ بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري وغيرهم ﷺ أجمعين. ثم لما تفرَّقوا في الأمصار أخذ القراءة عنهم خلقٌ كثير من التابعين في كل مصر، ثم تفرَّغ للقراءات قوم يضبطونها ويُعْنَون بها، وقد اشتهر منهم القرَّاء السبعة المشهورون(١)، كما اشتهر لكل قارئ منهم راويان.

كيفية تلقِّي القراءة: لا بدَّ ابتداءً من التذكير بحديث الأحرف السبعة عن ابن شهاب قال: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس رضي الله عنهما حدَّثه أن رسول الله ﷺ قال: (أقرأني جبريل عليه السلام على حرف، فراجعته فلم أزل أستزيده فيزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف). قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً، لا يختلف في حلال ولا حرام(٢)، وقد ذهب علماء القراءة في هذا الحديث مذاهبَ عِدَّة في الربط بينه وبين موضوع القراءات السبع، ومع اختلافهم في تعيين معنى الأحرف السبعة، إلا أن غالب الآراء تتَّجه إلى أن هذه الأحرف هي اللهجات العربية التي كانت القبائل العربية تتناولها، فنزل بها لتحقيق عدد من الحِكَم أهمها: التخفيف والتيسير على الأمة، ومراعاة لهجاتها المتعددة، والإعجاز القرآني في الإيجاز، والإثراء الفقهي. وقد اختلف أخذ الصحابة لهذه الحروف عن رسول الله ﷺ؛ فمنهم مَن أخذ القراءة عنه بحرف واحد منها، ومنهم مَن أخذها عنه بحرفين، ومنهم مَن زاد، ثم تفرَّقوا في الأمصار على هذه الحال، حتى اشتهر كل مصر برواية هذا الصحابي أو ذاك. فاختلف بسبب ذلك أَخْذُ التابعين عنهم، وهكذا إلى أن وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القراء المشهورين، الذين تخصَّصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها وينشرونها. ومن المعلوم أن هدف الجمعَيْن للقرآن الكريم في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما إنما كان لتوثيق وضبط النص القرآني نطقاً ولفظاً، لذا كان المصحف

---

(١) يقصد بالقرَأة هنا القرَّاء السبعة أصحاب القراءات السبع المتواترة. انظر تراجمهم بتوسُّع في: كتاب السبعة في القراءات: ص: ٥٣-٨٧، والنشر في القراءات العشر: ١/٨٢-١٣٥، وغاية النهاية في طبقات القراء.

(٢) هذه رواية مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم الحديث: ١٣٥٥، وقد ورد الحديث بطرق وروايات عدة، وهو متواتر، رواه سبعة وعشرون صحابياً. ورواه البخاري في الصحيح: كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم الحديث: ٤٦٠٧.

غير منقوط ولا مشكول، وكانت صورة الكلمة فيه تحتمل كل ما يمكن من وجوه القراءات المختلفة، واستمر الناس يَقرَؤون ويُقرِؤون بذات الحروف واللهجات التي تلقَّوها، وانتشرت بتفرُّق الصحابة في الأمصار، ويُعدُّ اجتماع الجند في غزو أرمينية سبباً مهمَّاً في الجمع الثاني، حيث اشتدَّ خلاف الأداء، مما اضطر إلى جمعه ونسخه بصورة تحوي هذه اللهجات، بحيث يُحافظ على وحدة النص، وتعيين وحدة المرجعية للقرآن، ومما يؤكد هذا إشارة الخليفة عثمان ﷺ للجنة الجمع أن يكتبوه بلسان قريش إذا اختلفوا في شيء منه، لأنه نزل بلسانهم. لذا حين بعث عثمان ﷺ المصاحف إلى الأمصار أرسل مع كل مصحف قارئاً ممَّن يوافق قراءته في الأكثر الأغلب. كما أنه أحرق ما عدا هذه النسخة من المصاحف، حفاظاً على وحدة المصحف، وتفويتاً لأي فرصة تؤدي لخلاف ممكن. ورغم التوثيق الكتابي للنص القرآني يبقى المعتمد والمعوَّل عليه في النقل التلقِّي والمشافهة.

أنواع القراءات: تتنوَّع القراءات إلى درجات؛ فمنها المتواتر، والمشهور أو الآحاد، والشاذُّ، والموضوع، والمدرَج. فالمتواتر منها هي القراءات السبع، والمشهور أو الآحاد هي القراءات الثلاث المتممة للعشر.

ضوابط وشروط القراءة الصحيحة: تنحصر هذه الضوابط في ثلاثة شروط: موافقة اللغة العربية ولو بوجه محتمَل، وموافقة رسم المصحف العثماني ولو تقديراً، وصحة السند بمعنى التواتر فيه، لأن القراءة سنَّة متَّبعة، يُعتمَد فيها على سلامة النقل، وصحة الرواية. ومتى اختلَّ أحد هذه الشروط الثلاثة تعدَّت القراءة إلى الأنواع الأخرى من المشهور، أو الشاذ، أو الضعيف(٣).

وبعد هذه المقدمة التعريفية الموجزة للقراءات أبدأ بتناول خمسة أمثلة لاختلاف القراءات المتواترة في مفردات مختارة من سورة (النحل)، بغية التعرف على آثار توجيه القراءة فيها:

---

(٣) انظر للتوسُّع في هذه المقدمة المراجع التالية: كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري، ومناهل العرفان للزرقاني، ومباحث في علوم القرآن للقطّان، والاختلاف بين القراءات للبيلي، والوجيز في علوم القرآن العزيز للمجالي.

النموذج الأول: الاختلاف في: ﴿ رُبَمَا ﴾.

من قوله تعالى:﴿رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [سورة الحجر:٢].

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في تشديد الباء وتخفيفها من قوله تعالى: ﴿ رُبَمَا ﴾: فقرأ ابن كثير(٤) وأبو عمرو(٥) وابن عامر(٦) وحمزة(٧) والكسائي(٨) بالتشديد: (رُبَّمَا). وقرأ عاصم(٩) ونافع(١٠): ﴿ رُبَمَا ﴾ بالتخفيف. وإنما قرئت بالتخفيف لما فيها من التضعيف. والحروف المضاعفة قد تحذف؛ نحو: (إنّ)، و(لكنّ)، فإنهم قد خففوها.

قال الزَّجَّاج: يقولون: رُبَّ رجل جاءني، ورُبَ رجل جاءني، وأنشد:

أَزُهَيْرُ إنْ يَشِبِ القَذَالُ فإنَّني رُبْ هَيْضَلٍ مَرِسٍ لَفَفتُ
بِهَيضَلِ(١١)

---

(٤) عبد الله بن كثير إمام أهل مكة ولد سنة ٤٥هـ وتوفي بها سنة ١٢٠هـ. وأشهر رواته: قنبل محمد بن عبد الرحمن المتوفى بمكة سنة ٢٨٠هـ، والبزِّي أحمد بن محمد بن أبي بزّة المكي المتوفى بمكة سنة ٢٤٠هـ.

(٥) أبو عمرو بن العلاء ولد بمكة سنة ٦٨هـ، وهو إمام أهل البصرة، توفي بالكوفة سنة ١٥٤هـ. وأشهر رواته: الدوري المتوفى سنة ٢٤٦هـ، والسوسي المتوفى سنة ٢٦١هـ.

(٦) عبد الله بن عامر اليحصبي ولد سنة ٢١هـ وهو إمام أهل القراءة في الشام، توفي بدمشق سنة ١١٨هـ. وأشهر رواته: هشام بن عمار المتوفى سنة ٢٤٥هـ، وعبد الله بن أحمد بن ذكوان المتوفى سنة ٢٤٢هـ.

(٧) حمزة بن حبيب الزيات ولد سنة ٨٠هـ، من أئمة أهل الكوفة، توفي سنة ١٥٦هـ. وأشهر رواته: خلف بن هشام المتوفى سنة ٢٢٩هـ، وخلاد خالد بن يزيد الكوفي المتوفى سنة ٢٢٠هـ.

(٨) علي بن حمزة الكسائي ولد سنة ١١٩، من أئمة أهل الكوفة أيضاً، توفي سنة ١٨٩هـ . وأشهر رواته: حفص بن عمر الدوري المتوفى سنة ٢٤٦هـ، وأبو الحارث الليث بن خالد المتوفى سنة ٢٤٠هـ. وهو أحد أئمة اللغة، وستأتي ترجمته قريباً.

(٩) أبو بكر عاصم بن أبي النجود إمام أهل الكوفة توفي سنة ١٢٧هـ. وأشهر رواته: أبو بكر الأسدي شعبة بن عياش الكوفي المتوفى سنة ١٩٣هـ، وحفص بن سليمان الكوفي المتوفى سنة ١٩٠هـ.

(١٠) أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ولد سنة ٧٠هـ، وهو إمام دار الهجرة (المدينة) توفي سنة ١٦٩هـ، وأشهر رواته: عيسى بن مينا الملقب بقالون المتوفى سنة ٢٢٠ هـ، وعثمان بن سعيد المصري الملقب بورش المتوفى سنة ١٩٧ هـ.

(١١) ينسب هذا البيت للشاعر: أبي كبير عامر بن الحليس الهذلي في ديوان الهذليين. وقد ورد البيت في ديوانه: **أَزُهَيْرُ إنْ يَشِبِ القَذَالُ فإنَّنِي رُبْ هَيضَلٍ لِجَبٍ لَفَفْتُ بِهَيضَلِ**
أزهير: أي: يا زهير. والقذال: ما بين الأذنين والقفا. والهيضل: جمع هيضلة، وهي الجماعة يُغزى بهم. ومَرِس: ذو مراسة وشدة، أراد شدة المعالجة في الحرب، يقول: لففتهم بأعدائهم في القتال. انظر: ديوان الهذليِّين: ٨٩/٢.

وعن علي بن نصر قال: سمعت أبا عمرو يقرؤها على الوجهين جميعاً؛ (التشديد والتخفيف)(١٢). - وهما لغتان-.

قال أبو حاتم(١٣): تميم(١٤) وقيس(١٥) وربيعة(١٦) يثقِّلونها: (رُبَّما)، وأهل الحجاز يخفِّفونها: (رُبَما)، قال الشاعر(١٧):

رُبَمَا ضربة بسيف صقيل   بين بصرى وطعنة بجلاء

قال الكسائي(١٨): والأصل التشديد، لأنك لو صغَّرت (رُبَّمَا) لقلت: (رُبَيْب)، فرددت إلى أصله(١٩).

---

(١٢) انظر: كتاب السبعة في القراءات: ص: ٣٦٦، والكشف: ٢/٢٩، والنشر في القراءات العشر: ٢/٢٢٦.

(١٣) أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي. حافظ للحديث، من أقران البخاري ومسلم، ولد في الري سنة ١٩٥ هـ، وإليها نسبته، وتنقّل بين العراق والشام ومصر وبلاد الروم، وتوفي ببغداد سنة ٢٧٧ هـ. له: طبقات التابعين، وتفسير القرآن العظيم، وأعلام النبوة. انظر: تاريخ بغداد: ٢/٧٣، والأعلام: ٦/٢٧.

(١٤) تميم: نسبة إلى تميم بن مر بن طانجة بن إلياس بن مضر، جد جاهلي، بنوه بطون كثيرة جداً. قال ابن حزم: وهم قاعدة من أكبر قواعد العرب، كانت منازلهم بأرض نجد والبصرة واليمامة، وامتدت إلى العذيب من أرض الكوفة، ثم تفرقوا في الحواضر والبوادي، وأخبارهم كثيرة. قال اليعقوبي: كانت تلبيتهم في الجاهلية إذا حجوا: لبيك اللهم لبيك، لبيك عن تميم قد تراها، قد أخلقت أثوابها وأثواب مَن وراها، وأخلصت لربها دُعاها. انظر: جمهرة الأنساب: ص: ١٩٦-٢٢١، ومعجم قبائل العرب: ١/١٢٦-١٣٣، والأعلام: ٢/٨٨.

(١٥) قيس: نسبة إلى قيس بن ثعلبة بن عكابة من بني بكر بن وائل، جده جاهلي وبنوه: سعد وتميم وعباد وضبيعة وبطون منها مشاهير. ومن بلادهم: منفوحة وضبيعة والنميلة والهجرة وكلها باليمامة، ومن أوديتهم الخزرج باليمامة، وكانوا من الصنائع وهي إحدى كتائب النعمان بن المنذر، فكانوا خواص الملك لا يرجون بابه، وكانوا من أشعر قبائل العرب. وقد شهد بذلك حسان بن ثابت والأخطل. انظر: جمهرة الأنساب: ص: ٣١٥، ومعجم قبائل العرب: ٣/٩٧١، والأعلام: ٥/٢٠٤.

(١٦) ربيعة: تكاثرت ربيعة في القبائل، وأشهرها نسبة إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وهو جد جاهلي قديم كان مسكن أبنائه بين اليمامة والبحرين والعراق، وهو الذي يقال له: ربيعة الفَرَس، ومن نسله بنو أسد وعنزة ووائل وحديلة والموئل وآخرون، وتفرعت عنهم بطون وأفخاذ ما زال منها العدد الأوفر إلى اليوم. وكانت تلبية ربيعة في الجاهلية إذا حجت: لبيك ربنا لبيك، لبيك إنَّ قصدْنا إليك، وبعضهم يقول: لبيك عن ربيعة، سامعة لربها مطيعة. انظر: جمهرة الأنساب: ص: ٤٨٣، ومعجم قبائل العرب: ٢/٤٢٤، والأعلام: ٣/١٧.

(١٧) الشاعر: عدي بن الرعلاء الغساني، أورده الأعلم والشريف الحسيني في حماستيهما. وبُصرى: بالضم والقصر موضعان: أحدهما: بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً، قدمها رسول الله ﷺ مرتين؛ مع عمه، وفي تجارة خديجة. ولما سار خالد بن الوليد من العراق لمدن أهل الشام قدم على المسلمين وهم نزول ببصرى، فضايقوا أهلها حتى صالحوهم على أن يؤدوا عن كل حالم ديناراً وجريب حنطة. وافتتح المسلمون جميع أرض حوران سنة ١٣هـ. وبَصرى الثانية من قرى بغداد قرب عكبراء. انظر: معجم البلدان: ١/٤٤١، وخزانة الأدب: الشاهد التاسع والتسعون بعد السبعمئة: ٤/١٨٧.

(١٨) أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء الكوفي الكسائي، إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة ولد في ناحية مِن قُراها، وتعلم بها، وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقَّل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري سنة ١٨٩ هـ عن سبعين سنة، وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين. من تصانيفه: معاني القرآن، والمصادر، والحروف، والقراءات. انظر: غاية النهاية: ١/٥٣٥، وإنباه الرواة: ٢/٢٥٦، والأعلام: ٤/٢٨٣.

(١٩) انظر: حجة القراءات: ص: ٣٨٠.

وحكي فيها ست عشرة لغة؛ بضم الراء وفتحها، وكلاهما مع التشديد والتخفيف، والأوجه الأربعة هذه مع تاء التأنيث ساكنة أو محركة، ومع التجرد منها، فهذه اثنتا عشرة، والضم والفتح مع إسكان الباء وضم الحرفين، مع التشديد ومع التخفيف(٢٠).

و(رُبَّ) على كثرة وقوعها في كلام العرب لم تقع في القرآن الكريم إلا في هذه الآية(٢١).

ثانياً: التوجيه النحْوي:

(رُبَّ) حرف جرٍّ عند سيبويه(٢٢) يجرُّ ما بعده. وفي إعراب (ما) بعدها ثلاثةُ وجوه:

١- إما أن تكون (ما) نكرة موصوفة بمعنى شيء، كقول الشاعر:

ربما تكره النفوس من الأمـــــــ ـــــــر له فرجة كحل العقال(٢٣)

والمعنى: ربَّ شيءٍ تكرهه النفوس. وتقديره في الآية: ربَّ ودٍّ يودُّه الذين كفروا(٢٤).

٢- أو أن تكون (ما) الكافَّة، نحو هذه الآية، يريدون أنها بدخولها كفَّت الحرف عن العمل الذي كان له، وإذا حصل هذا الكفُّ تهيَّأَت للدخول على ما لم تكن تدخل

---

(٢٠) انظر: مغني اللبيب: ٢٣١/١.

(٢١) انظر: روح المعاني: ٤/١٤.

(٢٢) سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز سنة ١٤٨ هـ، قدم البصرة ولزم الخليل وفاقه، وصنَّف كتابه المسمى الكتاب في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله. رحل إلى بغداد وناظر الكسائي، وعاد إلى الأهواز فتوفي بها سنة ١٨٠ هـ. ومعنى "سيبويه" بالفارسية: رائحة التفاح. انظر: البداية والنهاية: ١٧٦/١٠، وتاريخ بغداد: ١٩٥/١٢، والأعلام: ٨١/٥.

(٢٣) هذا البيت للشاعر أمية بن عبد الله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف، كان مطّلعاً على الكتب القديمة، وهو ممن حرَّموا على أنفسهم الخمر، ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، تنقَّل بين البحرين والشام قبيل الهجرة، وسمعت قريش منه القرآن توقعاً أن يُسلِم، لكنه لمَّا يعط رأيه في الإسلام بعد، وحين عاد من الشام يريد الإسلام بعد بدر علم بمقتل ابني خالٍ له فيها، فامتنع عن الإسلام، وأقام بالطائف إلى أن مات. أخباره كثيرة، وشعره في الطبقة الأولى، إلا أن علماء اللغة لا يحتجون به لورود ألفاظ فيه لا تعرفها العرب. وهو أول مَن جعل في مطالع الكتب: "باسمك اللهم" فكتبتها قريش. انظر: ديوان أمية: ص: ٥٠، ومغني اللبيب: ٢٣١/١، والموسوعة الشعرية.

(٢٤) انظر: حجة القراءات: ص: ٣٨١، والحجة للقراء السبعة: ٤/٥.

عليه وهو الفعل(٢٥). والعامل هنا محذوف تقديره: رُبَّ كافر يودُّ الإسلامَ يومَ القيامة(٢٦).

٣- أو أن تكون (ما) وما وصلت به بمعنى المصدر؛ يريد: رُبَّ وِدَادِ الذين كفروا.

ثالثاً: التوجيه اللغوي:

تأتي (رُبَّ) للتقليل وهو الأصل، لأنهم ودُّوا ذلك في بعض المواضع، لا في كلها، لشغلهم بالعذاب(٢٧).

كما أن (كم) للتكثير. وقد استعملت العرب إحداهما في موضع الأخرى. ومعنى التقليل هنا: أنهم لو كانوا يودُّون الإسلام مرة واحدة لوجب أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودُّونَه مراراً كثيرة. وقد تكون (رُبَّ) للتكثير والتحقيق.

قال الكوفيون: أي: يودُّ الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين(٢٨).

وقيل: إنما عبَّر عن التكثير بأداة التقليل على وجه التهكُّم والتخويف؛ كقوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ [النور:٢٤]، أي: احذروا وِدادَتَكم أن تكونوا مسلمين، فلعلها أن تقع نادراً، كما تقول العرب في التوبيخ: لعلك ستندم على فعلك، وهم لا يشكُّون في تندُّمه، ولا يقصدون تقليلَه، ولكنهم أرادوا أنْ لو كان الندم مشكوكاً فيه، أو كان قليلاً لحقَّ عليك أنْ لا تفعل هذا، لأن العاقل يتحرَّز من الضرِّ المظنون كما يتحرز من المتيقَّن.

والمعنى: أنهم قد يودُّون أن يكونوا قد أسلموا، ولكن بعد الفوات(٢٩).

وردَّ الزَّجَّاج(٣٠) أن تكون للتكثير، وقال: فأما مَن قال: إن (رُبَّ) يُعنى بها الكثير فهذا ضدُّ ما يعرفه أهل اللغة، لأن الحروف التي جاءت لمعنىً تكون على ما وَضعت

---

(٢٥) انظر: الحجة للقراء السبعة: ٣٨/٥.

(٢٦) انظر: التفسير الكبير للرازي: ١٥٦/١٩، والتبيان في إعراب القرآن: ص: ٤٩٦.

(٢٧) انظر: فتح القدير: ١٢١/٣.

(٢٨) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص: ٢٠٥.

(٢٩) انظر: الكشاف: ٣٨٦/٢، والتحرير والتنوير: ١١/١٤.

(٣٠) إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، نسبة إلى خرطه الزجاج أيام فتوَّته، ولد في بغداد سنة ٢٤١هـ، وتوفي فيها سنة ٣١١هـ، تلميذ المبرد، وعالم بالنحو واللغة، عمل مؤدِّباً لابن عبد الله بن

العرب. فرُبَّ موضوعة للتقليل، وكم موضوعة للتكثير، وإنما خُوطبوا بما يعقلون ويستفيدون(٣١).

وقد يعبَّر عن التكثير بأداة التقليل على وجه التهديد والتهويل في عدم اتِّباعهم الإسلام. والمعنى: قد يودُّ الذين كفروا أن يكونوا أسلموا، ولكن بعد فوات الأوان.

والأصل أن تدخل على الماضي، ودخلت هنا على المستقبل لأن المترقَّب في إخباره سبحانه كالواقع بمنزلة الماضي المقطوع في تحقُّقه، فكأنه قيل: ربَّما ودَّ الذين كفروا..(٣٢). وإنما جاز ذلك لأن القرآن نزل وعدُه ووعيدُه، وما كان فيه حقاً فإنه عيَان، فجرى الكلام فيما لم يكن كمجراه في الكائن. ألا ترى قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ ﴾ [السجدة: ١٢]، وقوله: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴾ [سبأ: ٥١]، كأنه ماضٍ وهو مُنتظَر، لصدقه في المعنى(٣٣)، فأشار بالمضارع إلى أن ودَّهُم لذلك يكون كثيراً جداً متكرراً(٣٤).

رابعاً: التفسير:

الودُّ: التمنِّي، وهو تقدير المعنى في النفس للاستمتاع، وإظهار ميل الطباع إليه، وفيه اشتراكٌ بين التمنِّي والحُبِّ(٣٥).

واختلف المفسرون متى يقع هذا الودُّ من الكفار على مذهبين؛ أحدهما: أنه في الآخرة. ومتى يكون ذلك؟ فيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه حين يُخرج الله عصاةَ المؤمنين من النار. عن أبي موسى الأشعري ﵁ عن النبي ﷺ ((إذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم مَن شاء الله مِن أهل

سليمان وزير المعتضد العباسي. له مناقشات مع ثعلب وغيره. من كتبه: معاني القرآن وإعرابه، والاشتقاق، والأمالي، والمثلث. انظر: معجم الأدباء: ٤٧/١، وبغية الوعاة: ٤١١/١، والأعلام: ٤٠/١.

(٣١) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ١٧٣/٣.

(٣٢) انظر: جامع البيان: ١/١٤، والكشاف: ٣٨٦/٢، وفتح القدير: ١٢١/٣، ومعاني القرآن: ٨٢/٢.

(٣٣) انظر: جامع البيان: ١/١٤، ومعاني القرآن: ٨٢/٢.

(٣٤) انظر: نظم الدرر: ١٤/١١.

(٣٥) انظر: نظم الدرر: ١٤/١١.

القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم الإسلام وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأُخذنا بها، فسمع الله ما قالوا، فأمر بكل مَن كان في النار من أهل القبلة فأُخرجوا، فلما رأى ذلك مَن بقي من الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ﴾))(٣٦). وإليه ذهب ابن عباس في رواية، وأنس بن مالك ومجاهد(٣٧) وعطاء(٣٨) وأبو العالية وإبراهيم النخعي(٣٩). وهو المشهور من أقوال أكثر المفسرين(٤٠).

القول الثاني: أنه كلما رأى الكافر حالاً من أحوال العذاب، ورأى حالاً من أحوال المسلم ودَّ لو كان مسلماً. ذكره الزَّجَّاج، ورجَّحه الفخر الرازي في تفسيره(٤١).

القول الثالث: عند الشفاعة ودخول الجنة. عن حميد عن عطاء عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما يزال الله تبارك وتعالى يشفع ويُدخِل الجنة ويُشفِّع

---

(٣٦) أخرجه الحاكم وصححه. انظر: المستدرك للحاكم: ٢٤٢/٢، وجامع البيان: ٢/١٤، والدر المنثور: ٩٢/٤.

(٣٧) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، مولى قيس بن السائب المخزومي، تابعي مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، وتنقَّل في الأسفار، واستقرَّ في الكوفة. أما كتابه في التفسير فيتَّقيه المفسرون، وسُئل الأعمش عن ذلك فقال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب. يقال: إنه مات سنة ١٠٤ هـ وهو ساجد، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة بمكة. انظر: غاية النهاية: ٤١/٢، وميزان الاعتدال: ٩/٣، والأعلام: ٢٧٨/٥.

(٣٨) أبو محمد المكي عطاء بن أسلم بن صفوان بن أبي رباح القرشي، الفهري بالولاء. مفتي أهل مكة ومحدثهم، وتابعي من أجلاء الفقهاء. ولد في الجند باليمن سنة ٢٧ هـ، ونشأ بمكة، وتوفي فيها سنة ١١٤ هـ. سمع من عائشة وأبي هريرة والعبادلة الأربعة وآخرين من الصحابة، وروى عنه جماعات من التابعين منهم أبو حنيفة والأوزاعي. كان زاهداً عابداً ثقة حجة فصيحاً كثير الاتِّباع للسنة. انظر: ميزان الاعتدال: ٧٠٣/٣، وتذكرة الحفاظ: ٩٨/١، والأعلام: ٢٣٥/٤.

(٣٩) أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النَخَعِي الكوفي الفقيه. من مذحج اليمن، ومن كبار التابعين، أدرك بعضَ متأخري الصحابة، ثقة إلا أنه يُرسِل كثيراً. أخذ عنه حماد بن أبي سليمان وسماك بن حرب وغيرهما. ولد سنة ٤٦ هـ، ومات سنة ٩٦هـ. انظر: تقريب التهذيب: ٤٦/١ رقم: ٣٠١، وتذكرة الحفاظ: ٧٠/١، والأعلام: ٧٦/١.

(٤٠) انظر: تفسير مجاهد: ص: ٣٣٩، وجامع البيان: ٢/١٤، وتفسير الخازن: ٨٨/٣، والدر المنثور: ٩٢/٤، وزاد المسير: ٢٩٠/٤.

(٤١) انظر: التفسير الكبير للرازي: ١٥٨/١٩، ومعاني القرآن وإعرابه: ١٧٢/٣.

ويَرحم حتى يقول: مَن كان مسلماً فليدخل الجنة، فذلك قوله: ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢](٤٢).

والمذهب الثاني: أنه في الدنيا، وذلك إذا عاينوا العذاب وقت الموت، وتبين لهم الضلال من الهدى، وعلموا مصيرهم، ودُّوا ذلك، ولكن لا ينفعهم ذلك الودُّ والتمنِّي. قاله الضحاك(٤٣).

خامساً: توجيه القراءات:

صوَّب شيخ المفسرين ابن جرير الطبري(٤٤) القراءتين معاً، إذ هما مشهورتان، ولغتان معروفتان عند العرب، فبأيِّتهما قرأ القارئ فهو مصيب(٤٥).

ووجَّه ابن خالويه(٤٦) في تمييزه للقراءتين فقال: الحُجَّة لمن خفَّف أن الأصل عنده باءان، أُدغمت إحداهما في الأخرى، فأسقط واحدة تخفيفاً. والحُجَّة لمن شدَّد أنه أتى بلفظها علىَ الأصل، وهي أكثرُ استعمالاً، وأعمُّ انتشاراً. قال الشاعر(٤٧):

يا رُبَّ سارٍ بات لن يُوَسَّدا   تحت ذراع العَنْس أو كفَّ اليدا(٤٨)

---

(٤٢) أخرجه الطبري من طريق أبي عوانة، حدثنا عطاء به نحوه، وأخرجه الحاكم بسنده عن جرير عن عطاء به نحوه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يُخرِّجاه، وأقرَّه الذهبي. انظر: المستدرك: ٣٢٣/٢، وجامع البيان: ٣/١٤، وفتح القدير: ١٢٤/٣، والدر المنثور: ٩٤/٢، وكتاب الزهد لهناد بن السري: ١٤٣/١.

(٤٣) انظر: التفسير الكبير للرازي: ١٥٨/١٩، وفتح القدير: ١٢٤/٣، وتفسير الخازن: ٨٨/٣، وزاد المسير: ٢٩٠/٤.

(٤٤) الإمام العَلَم شيخ المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الآملي. ولد في آمل سنة ٢٢٤ هـ. وهو مفسِّر، ومؤرِّخ، وفقيه بلغ رتبة الاجتهاد. عُرِض عليه القضاءُ فامتنع، وولايةُ المظالم فأبى. توفي في بغداد سنة ٣١٠ هـ. له تصانيف كثيرة أشهرها: جامع البيان في تفسير القرآن، ويعرف بتفسير الطبري، وأخبار الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، والقراءات، واختلاف الفقهاء، وتهذيب الآثار. انظر: تاريخ بغداد: ١٦٢/٢، وطبقات الشافعية الكبرى: ٦٣/١، والأعلام: ١٩/٦.

(٤٥) انظر: جامع البيان: ١/١٤.

(٤٦) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان، نشأ في همذان، ثم وفد إلى بغداد ليتلقى عن شيوخها وعلمائها. له باع في اللغة والأدب، أُشيعَ عن تشيّعه لكن الذهبي أكَّد سنيَّته، وذكره السبكي في طبقات الشافعية. توفي في حلب سنة٣٧٠ هـ. من تآليفه: الحجة في القراءات السبع، وإعراب ثلاثين سورة، والجمل في النحو، والاشتقاق، والبديع. انظر: بغية الوعاة: ٥٢٩/١، وغاية النهاية: ٢٣٧/١.

(٤٧) لم أهتدِ لقائل هذا البيت. وقد ورد البيت في الدرر اللوامع:

يا رُبَّ سارٍ بات ما توسَّدا   إلا ذراع العَنْسِ أو كفَّ اليدا

والعنْس: الناقة الصلبة. وفي رواية: (العِيْس) جمع عيساء، وهي الإبل التي يخالط بياضَها شيءٌ من الشقرة. انظر: الدرر اللوامع: ١٢/١، وحاشية الصبان: ٣٧/١، وشرح المفصَّل: ١٥٢/٤.

(٤٨) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص: ٢٠٤.

النموذج الثاني: الاختلاف في: ﴿ سُكِّرَتۡ ﴾

من قوله تعالى: ﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴾ [سورة الحجر:١٥].

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلفوا في تخفيف الكاف وتشديدها من قوله تعالى: ﴿ سُكِّرَتۡ ﴾؛ فقرأ الجمهور- أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم ونافع-: ﴿ سُكِّرَتۡ ﴾ بالتشديد.

وقرأ ابن كثير وحده بالتخفيف: (سُكِرَتْ)(٤٩).

ثانياً: التوجيه النحْوي:

﴿ سُكِّرَتۡ ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، وهو منقول بالتضعيف. يقال: سكّر بصره وسكّرته، و(أبصارنا) نائب الفاعل. ويقرأ بالتخفيف وفيه وجهان:

أحدهما: أنه متعدٍّ مخفَّفاً ومثقَّلاً.

والثاني: أنه مثل (سَعِدَ)، [أي: لازمُه ومتعدِّيه بلفظ واحد. مثل: شجا فاه، وشجاه فوه، وسعدوا وسعدته، وكذلك هنا سكِرَ بصره وسكرته.

قال العكبري(٥٠): وهو غير معروف في اللغة، ولا هو مقيس](٥١). والمعروف أن (سكر) لا يتعدَّى. قال أبو علي(٥٢): يجوز أن يكون سُمِعَ متعدِّياً في البصر(٥٣).

---

(٤٩) انظر: كتاب السبعة في القراءات: ص: ٣٦٦، والكشف: ٣٠/٢، والنشر في القراءات العشر: ٢٢٦/٢.

(٥٠) أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي، ولادته سنة ٥٣٨ هـ ووفاته سنة ٦١٦ هـ في بغداد. عالم بالأدب واللغة والفقه والفرائض والحساب، أصله من عكبرا بُلَيدَة على دجلة، أصيب في صباه بالجدري فعمي. من كتبه: التبيان في إعراب القرآن وهو المسمى: (إملاءُ ما مَنَّ به الرحمن)، وشرح اللمع لابن جني، وإعراب الحديث. انظر: بغية الوعاة: ٣٨/٢، والوفيات: ٢٦٦/١، والأعلام: ٨٠/٤.

(٥١) انظر: التبيان في إعراب القرآن: ص: ٤٦١، ٤٩٧.

(٥٢) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أحد الأئمة في علم العربية، ولد في فسا من أعمال فارس سنة ٢٨٨ هـ، ودخل بغداد ٣٠٧ هـ، وتجوّل في كثير من البلدان، وقدم حلب ٣٤١ هـ، وأقام مدة عند سيف الدولة، وعاد إلى فارس فصحب عضد الدولة، وعلَّمه النحو، وصنَّف له كتاب الإيضاح.

والتشديد والتضعيف في ذلك للتعديَة، لأنَّ سكر كفَرِح لازمٌ في الأَشْهَرِ، وقد حُكِي تعدِّيه، فيكون للتكثير والمبالغة(٥٤).

ثالثاً: التوجيه اللغوي:

(سُكِرَتْ) أي: سُحِرَت وحُبِسَت. والعرب تقول: (سَكَرَت الريح) تسكر، إذا سكنت وركدت. وكذلك سكر الحَرُّ يسكر.

وفسَّر أبو عمرو بن العلاء (سُكِّرَت): أُغْشِيَت وغُطِّيَت(٥٥). وسَكِرَت: تحيَّرَت وسكنت عن أن تنظر الحقائق(٥٦). – اختاره الزَّجَّاج –.

فالغشاء والحبس قريب من السواء. وأصله من السَّكْرِ، وهو سدُّ الشَّق لئلا ينفجر الماء، فكأن هذه الأبصار مُنِعت من النظر كما يمنع السَّكْرُ الماءَ من الجري، والتشديد يوجب زيادةً وتكثيراً.

فكأن معنى (سُكِّرَت أبصارنا) أي: لا ينفُذُ نورُها، ولا تدركُ الأشياءَ على حقيقتها، فكأنها حُبِسَت. وكأن معنى كلمة (السكر): انقطاع الشيء عن سببه الجاري، فمن ذلك: سكر الماء، هو ردُّه عن سببه في الجِرْيَة.

وقالوا: التسكير في الرأي قبل أن يعزم على شيء، فإذا عزم على أمر ذهب التسكير. ومنه السكر في الشراب، إنما هو أن ينقطع عن ما هو عليه من المضاء في

اتُّهم بالاعتزال، وله شعر قليل، وسُئل في المدن التي أقام بها أسئلة كثيرة فصنَّف في أسئلة كل بلد كتاباً؛ منها: المسائل الشيراوية، والعسكريات والبصريات والحلبيات والبغداديات. توفي في بغداد سنة ٣٧٧ هـ. من كتبه: التذكرة، وتعاليق سيبويه، والحجة للقراء السبعة. انظر: تاريخ بغداد: ٢٧/٧، وإنباه الرواة: ٢٧٣/١، والأعلام: ١٧٩/٢.

(٥٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٩/١٠، والحجة للقراء السبعة: ٤٤/٥.

(٥٤) انظر: روح المعاني: ٢٠/١٤.

(٥٥) انظر: جامع البيان: ١١/١٤، والجامع لأحكام القرآن: ٨/١٠، وفتح القدير: ١٢٣/٣.

(٥٦) انظر: التفسير الكبير للرازي: ١٧١/١٩، وروح المعاني: ٢٠/١٤، ومعاني القرآن وإعرابه: ١٧٥/٣.

حال الصحو، فلا ينفذ رأيُه ونظرُه على حدِّ نفاذه في صحوِه. وقالوا: سكران لا يُبَتُّ، فعبروا عن هذا المعنى فيه(٥٧).

وقال أبو عمرو بن العلاء: هو مأخوذ من سُكْرِ الشراب، يعني أن الأبصار حارت، ووقع بها من فساد النظر مثلُ ما يقع بالرجل السكران من تغيُّر العقل. فإذا كان هذا معنى التخفيف فسكِّرَت – بالتشديد – يُراد به وقوعُ الأمر مرة بعد مرة بعد أخرى(٥٨).

وقال أبو عبيدة(٥٩): (سكِّرتْ أبصارنا) أي: غشِّيت أبصارنا فوجب سكونها وبطلانها، وعلى هذا القول أصله من السكون، يقال: سكرت الريح تسكرُ سكْراً إذا سكنتْ وفترتْ، وسكرَ الحرُّ يسكر.

ومنه قول جندل بن المثنى الطهوي(٦٠):

جاء الشتاء واجتألَّ القُنْبُرُ   واستخْفَت الأفعى وكانت تظهرُ
وطلعت شمسٌ عليها مِغفر   وجعلت عينُ الحرورِ تَسْكَرُ

أي يذهب حرها ويخبو(٦١). وليلة ساكرة أي: لا ريح فيها. قال أوس بن حَجر(٦٢):

---

(٥٧) انظر: معاني القرآن: ٨٦/٢، والحجة للقراء السبعة: ٤٣/٥.

(٥٨) انظر: التفسير الكبير للرازي: ١٧١/١٩، وزاد المسير: ٢٩٤/٤.

(٥٩) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري النحوي، من أئمة العلم بالأدب واللغة، مولده سنة ١١٠ هـ، ووفاته سنة ٢٠٩ هـ بالبصرة. استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨ هـ، وقرأ عليه أشياء من كتبه. كان إباضياً شعوبياً من حُفَّاظ الحديث. قال ابن قتيبة: كان يبغض العرب، وصنف في مثالبهم كتباً، لم يحضر جنازته أحدٌ لشدة نقده معاصريه. له نحو مئتي مؤلَّف. من كتبه: مجاز القرآن، وإعراب القرآن، والأمثال، ومعاني القرآن. انظر: مفتاح السعادة: ٩٣/١، وبغية الوعاة: ٢٩٤/٢، والأعلام: ٢٧٢/٧.

(٦٠) الشاعر: جندل بن المثنى الطهوي: من تميم، شاعر راجز كان معاصراً للراعي، وكان يهاجيه. نسبته إلى طهية وهي جدته. وفاته نحو عام ٩٠ هـ. انظر: الأعلام: ١٤٠/٢.

(٦١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨/١٠، ومجاز القرآن: ٣٤٨/١.

(٦٢) أبو شريح أوس بن حجر بن مالك التميمي، شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها. في نسبه اختلاف بعد أبيه حجر، وهو زوج أم زهير بن أبي سلمى، كان كثير الأسفار، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند في الحيرة. عمَّر طويلاً، ولم يدرك الإسلام. في شعره حكمة ورقَّة، كان غزلاً مغرماً بالنساء. قال الأصمعي: أوس أشعر من زهير، إلا أن النابغة طأطأ منه. له ديوان مطبوع. انظر: طبقات فحول الشعراء: ص: ٨١، والأعلام: ٣١/٢، والموسوعة الشعرية.

جذلت على ليلة ساهرة فليست بطلق ولا ساكرة(٦٣)

ويلاحظ أن الأقوال في معنى (سُكِّرَت) هي في الحقيقة متقاربة.

والأصل فيها ما قال أبو عمرو بن العلاء – رحمه الله تعالى – قال: هو من السكْر في الشراب، وهذا قول حسن. أي غشيهم ما غطَّى أبصارهم، كما غشي السكران ما غطَّى عقله(٦٤).

رابعاً: التفسير:

اختلف أهل التأويل في تأويل معنى (سُكِّرَت)؛ فقال قوم: سُدَّت، وقال آخرون: أُخِذَت، وقال بعضهم: عميت، وقال آخرون: سُحِرَت(٦٥). والمعنى: ولو فتحنا على هؤلاء المعاندين لمحمد ﷺ المكذبين له المستهزئين به باباً من أبواب السماء المعهودة، ومكَّنَّاهم من الصعود إليه، فظلَّت الملائكة تعرج فيه بآلة أو بغير آلة، حتى يشاهدوا ما فيها من عجائب الملكوت التي لا يجحدها جاحد، ولا يعاند عند مشاهدتها معاند، لقال أهل الشرك لِفَرْطِ عنادهم، وزيادةِ عُتوِّهم: إنما أُخِذت أبصارنا، وشُبِّه علينا، وسُحِرْنَا، وفي هذا بيانٌ لعنادهم العظيم.

ومَن بلغ في التعنُّت إلى هذا الحد فلا تنفع فيه موعظة، ولا يهتدي بآية(٦٦).

خامساً: توجيه القراءات:

حُجَّة التشديد: أنه أراد سُدَّت وغُطِّيت، فقوَّة التوجيه اللغوي من حيث المبالغة والتكثير في التعدية والتشديد، أبْيَنُ، وحُجَّة التخفيف: أنه أراد سُحِرت ووَقَفت، تقول: سكرْت الماء إذا وقفته.

---

(٦٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨/١٠، ولسان العرب: ٣٧٥/٤.

(٦٤) انظر: التفسير الكبير للرازي: ١٧١/١٩، وفتح القدير: ١٢٣/٣.

(٦٥) انظر: جامع البيان: ١٢/١٤-١٣، والدر المنثور: ٩٥/٤.

(٦٦) انظر: فتح القدير: ١٢٣/٣.

وقال الكسائي: هما لغتان، ومعناهما متقارب، وإن اختلف تفسيرهما(٦٧). لكن في التشديد معنى التكثير والتكرير، وحسُنَ ذلك فيه لإضافته إلى جماعة لكل واحد بصر قد غشي بغشاوة، والأبصار جماعة، فحقُّه التشديد ليدل على التكثير(٦٨).

وصوَّب ابن جرير الطبري قولَ مَن قال: معنى ذلك: أُخِذَتْ أبصارُنا وسُحِرتْ، فلا تبصر الشيء على ما هو به، وذهب حدُّ إبصارها، وانطفأ نوره.. ثم قال: معنى سَكِرَت وسُكِّرَت متقاربان، غير أن القراءة التي لا أستجيز غيرها في القرآن (سُكِّرَت)، لإجماع الحُجَّة من القراء عليها، وغيرُ جائز خلافها فيما جاءت به مجمعة عليه(٦٩).

وقول الطبري في عدم استجازة غير قراءة الجمهور فيه نظر. لأن قراءة ابن كثير صحيحة سبعيَّة متواترة، لا يمكن ردُّها، إذ المتواتر لا يردُّه شيء، وإن انفرد بها عن الجمهور. وقوله صحيح في عدم جواز الشاذة، أو الآحاد، فهذه غير جائزة، باعتبارها مخالِفةً لما أُجمِع عليه. والله تعالى أعلم.

النموذج الثالث: الاختلاف في: ﴿ ٱلرِّيَٰحَ ﴾.

من قوله تعالى: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [سورة الحجر: ٢٢].

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلف القرَّاء في قراءة (الرياح) إفراداً وجمعاً في مواطنها المتفرقة من الكتاب العزيز اختلافات عديدة، غير أنهم اتفقوا على قراءتها (الرياح) بالجمع وألف بعد الياء في

---

(٦٧) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص: ٢٠٦، وزاد المسير: ٢٩٤/٤.

(٦٨) انظر: الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها: ٣٠/٢.

(٦٩) انظر: جامع البيان: ١٣/١٤.

سورة الحجر، إلا حمزةَ فقد انفرد بقراءتها على الإفراد (الريح) من غير ياء هنا في سورة الحجر حصراً(٧٠).

ثانياً: التوجيه النحْوي:

اللام في (الريح) للجنس، وياء (الريح) مبدلَةٌ مِن واو؛ لأنه مِن راح يروح وروَّحته، والجمع أرواح. وأما (الرياح) فالياء فيه مبدلةٌ مِن واو، لأنه جمعٌ أوَّلُه مكسور، وبعد حرف العلة فيه ألف زائدة، والواحد عينُه ساكنة، فهو مثْلُ سوط وسياط، إلا أن واو الريح قُلِبَتْ ياءً لسكونها، وانكسارِ ما قبلها(٧١).

ثالثاً: التوجيه اللغوي:

الريح: جسم لطيف منبثٌّ في الجو، سريع المرِّ، وهو هواء متحرك، وحركته بعد أن كان ساكناً لابدَّ لها من سبب، وذلك بتحريك الفاعل الواحد القهار(٧٢).

ويقرأ الرياح بالجمع لاختلاف أنواع الريح في هبوبها: جنوباً، وشمالاً، وصبا، ودَبُوراً. وفي أوصافها: حارة، وباردة، وفي آثارها: لواقح، وعقيم.

والعرب تقول للريح الجنوب: لاقح وحامل، وللشمال حائل وعقيم(٧٣). ووصْفُ الرياح بأنها لواقح على التشبيه البليغ، وشُبِّهت الريحُ التي تأتي بالسحاب الماطر بالناقة الحامل لأنها حاملة لذلك السحاب، أو للماء الذي فيه.

و(الرياح) بالجمع ملائم لما بعده، لفظاً ومعنى.

---

(٧٠) انظر: كتاب السبعة في القراءات: ص: ١٧٣، والكشف: ١/٢٧١، والنشر في القراءات العشر: ٢/١٦٨.

(٧١) انظر: التبيان في إعراب القرآن: ص: ٤٩٨.

(٧٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١١/٣٦.

(٧٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠/١٦.

وعلى قراءة حمزة بالإفراد على تأويل الجنس تكون في معنى الجمع أيضاً، ولذا صحَّ جعل اللواقح حالاً منها، وذلك كقولهم: أهلك الناسَ الدينارُ الصفرُ، والدرهمُ البيضُ.

وفي (اللواقح) ثلاثة أوجه: أحدها: أصلها ملاقح، لأنه يقال: ألقح الريح السحاب، كما يقال: ألقح الفحل الأنثى، أي: أحبلها. وحذفت الميم لظهور المعنى، ومثله الطوائح، والأصل المطاوح، لأنه من أطاح بالشيء. قال الشاعر(٧٤):

ليبك يزيد يائس ذو ضراعة   وأشعث مما طوَّحته الطوائح

موضع الشاهد: (الطوائح) أي: المَطاوح، جمع مطيحة.

والوجه الثاني: أنه على النسب: أي ذوات لقاح، يقال: طالق، وطامس.

والوجه الثالث: أنه على حقيقته، يقال: لقحت الريح إذا حملت الماء، وألقحت الريح السحاب: إذا حمَّلتها الماء، وريح لاقح: إذا جاءت بخير، من إنشاء سحاب ماطر(٧٥).

ولا تخالف قراءة حمزة بالإفراد من أن الرياح تستعمل للخير، والريح للشر، وذلك ليس من باب الوضع والتعميم، وإنما هو من باب الاستعمال والاشتهار، وهو أمر على وجه الغلبة لا الكلِّية، فقد استعملت الريح في الخير أيضاً في مقابلة استعمالها في الشر في آية واحدة، وهي في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [يونس: ٢٢].

---

(٧٤) الشاعر سهيل يرثي أخاه. انظر: التفسير الكبير للرازي: ١٧٩/١٩، ونسبه ابن عاشور في التحرير والتنوير: ٣٧/١٤–٣٨ إلي الحارث بن نُهَيْك أو ضرار النهشلي – شاعر جاهلي – بلفظٍ آخر:

ليبك يزيد ضارع لخصومة   ومختبط مما تطيح الطوايح

(٧٥) انظر: الكشاف: ٣٨٩/٢، وروح المعاني: ٣١/١٤، والتبيان في إعراب القرآن: ص: ٤٩٨.

وهنا جاءت بالخير لأنها وصفت بكونها طيبة. ولم تُجمَع لأن السفينة لا يناسبها إلا ريح واحدة، فلو كانت رياحاً لأغرقت السفينة، حيث تعدُّدُ الرياح يغرقها، لأنها تعتمد على الشراع في توجُّهِها، فسلامتها في إفراد مصدر ريحها ووحدته، لذا جاءت مفردةً موصوفةً بالخير – ريح طيبة –، بينما تعدُّدُ الريح من كل جانب منذرٌ بهلاكها وغرقها، فوصَفَها بالريح العاصف الذي يأتي بالموج من كل مكان(٧٦).

رابعاً: التفسير:

الآية الكريمة تقرر النوع الخامس من دلائل التوحيد التي استفتحت بها سورة الحجر، بعد مدِّ الأرض، وتثبيت الجبال، وإنبات الزرع، وإنزال المطر.

عن ابن مسعود ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ قال: يرسل الله الريح لتلقِّح السحاب، فتحمل الماء فتمجُّه في السحاب، ثم تمرُّ به، فتدرُّ كما تدرُّ اللقحة، ثم تمطر(٧٧).

وقال عبيد بن عمير(٧٨): يرسل الله الريح المبشِّرة فتعمُّ الأرض بماء، ثم يبعث المثيرة فتثير السحاب فيجعله كسفاً، ثم يبعث المؤلِّفة فتؤلِّف بينه فيجعله ركاماً، ثم يبعث اللواقح فتلقِّحه فتمطر(٧٩).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ريح الجنوب من الجنة، وهي الريح اللواقح التي ذكر الله في كتابه، وفيها منافع للناس، والشمال من النار تخرج فتمرُّ بالجنة، فيصيبها نفحة من الجنة، فبرْدُها هذا من ذاك))(٨٠).

---

(٧٦) انظر: روح المعاني: ٣١/١٤، والتبيان في إعراب القرآن: ص: ٤٩٨.

(٧٧) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق. انظر: جامع البيان: ٢٢/١٤، والدر المنثور: ٩٦/٤.

(٧٨) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، أبو عاصم المكي. ولد على عهد النبي ﷺ، قاله مسلم. وعدَّه غيره في كبار التابعين. وكان قاصَّ أهل مكة، مجمعٌ على ثقته. مات قبل ابن عمر. انظر: تقريب التهذيب: ص: ٣٧٧، رقم الترجمة: ٤٣٨٥.

(٧٩) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة. انظر: جامع البيان: ٢٢/١٤، والدر المنثور: ٩٦/٤.

وقال الزَّجَّاج: يجوز أن يقال للريح لقحتْ إذا أتت بالخير، كما قيل لها عقيم إذا لم تأت بخير وأتت بعذاب، كما قال الله تعالى: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴾ [الذاريات: ٤١](٨١).

وهذا كما تقول العرب: قد لقحت الحرب، وقد نتجت ولداً أنكد، يشبِّهون ما تشتمل عليه من ضروب الشر بما تحمله الناقة(٨٢).

وعن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ كان إذا عصفت الريح قال: ((اللهم إني أسألك خيرها، وخيرَ ما فيها، وخيرَ ما أُرسلتْ به. وأعوذ بك من شرِّها، وشرِّ ما فيها، وشرِّ ما أُرسلتْ به))(٨٣).

وفي مسند الشافعي: قال: أخبرنا مَن لا أتَّهِم، أخبرنا العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: ((ما هبت ريحٌ قطُّ إلا جثا النبي ﷺ على ركبتيه، وقال: اللهم اجعلها رحمة، ولا تجعلها عذاباً، اللهم اجعلها رياحاً، ولا تجعلها ريحاً. قال ابن عباس –رضي الله عنهما– في كتاب الله ﷻ: قال الله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [فصلت: ١٦]، وقالﷻ: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴾ [الذاريات: ٤١]، وقال ﷻ: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ

---

(٨٠) أخرجه ابن جرير من طريقين عن عبيس بن ميمون دون ذكر الشمال، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي الدنيا في كتاب السحاب، وابن مردويه والديلمي في مسند الفردوس، وهو ضعيف لأجل أبي المهزم وهو متروك، وصرح بضعفه ابن كثير والألباني. انظر: جامع البيان: ٢٢/١٤، والجامع لأحكام القرآن: ١٦/١٠، وتفسير ابن كثير: ٥٤٩/٢، والدر المنثور: ٩٦/٤، وفتح القدير: ١٢٨/٣، وضعيف الجامع الصغير: ١٩١/٣، وكتاب العظمة لأبي الشيخ: ١٣٠٦/٤، وكتاب فردوس الأخبار: ٣٨٩/٢.

(٨١) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ١٧٧/٣.

(٨٢) انظر: التفسير الكبير للرازي: ١٨٠/١٩.

(٨٣) أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: ((اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به)). قالت: وإذا تخيلت السماء تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر. فإذا مطرتْ سُرِّيَ عنه، فعرفتُ ذلك في وجهه. قالت عائشة: فسألته فقال: ((لعله يا عائشة كما قال قوم عاد: فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم، قالوا هذا عارض ممطرنا)). كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر: ٦١٦/١، رقم الحديث: ٨٩٩/١٥.

لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [الحجر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [الروم: ٤٦]))(٨٤).

خامساً: توجيه القراءات:

الحُجَّة في قراءة حمزة: (الريح) بغير ألف: أن الريح اسم جنس في معنى الجمع، وهو أخفُّ في الاستعمال، وعلى إقامة المفرد مقام الجمع مع ثبات معنى الجمع فيه، وهو أعمُّ.

وقد أنكر أبو حاتم هذه القراءة لتوحيد لفظ (الريح)، وجمع النعت (لواقح). وتُوجَّه هذه القراءة وتُؤيَّد أن الواحد يأتي بمعنى الجمع. قال تعالى: ﴿ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَا ﴾ [الحاقة: ١٧] يعني الملائكة. وتقول: (جاءت الريح من كل مكان). تريد الرياح، فقيل: لواقح لذلك. وكما تقول: تركته في أرض سباسب(٨٥)، ومهارق(٨٦)، وثوب أخلاق. قال الشاعر:

جاء الشتاءُ وقميصي أخلاقْ   شراذمٌ يضحكُ منْه التَّوَّاقْ(٨٧)

موضع الشاهد: (قميصي أخلاق)، وهو جمع مفرده: (خَلَق).

---

(٨٤) انظر: مسند الشافعي: كتاب العيدين، باب لا تسبوا الريح واسألوا الله من خيرها، وعوذوا بالله من شرها: ٣/٢٢٢٧، ومعالم التنزيل: ٣/٣٩.

(٨٥) جمع سبسب، وهي: القفر والمفازة، أو: الأرض البعيدة المستوية، أو الجدبة. انظر: لسان العرب: ١/٤٦٠.

(٨٦) جمع مهرق، وهو هنا: الصحراء الملساء، وهو لفظ معرَّب. انظر: لسان العرب: ١٠/٣٦٨.

(٨٧) الشاعر الأصمعي. أورده الفراء وابن منظور. انظر: معاني القرآن: ٢/٨٧، ولسان العرب: ١٠/٣٣، والأصمعي هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي نسبة إلى جده، كان راوية العرب، ولد سنة ١٢٢ هـ، في البصرة وتوفي فيها سنة ٢١٦ هـ، وكان كثير التطواف في البوادي يقتبس علومها ويتلقَّى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر. وكان يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة. انظر: الموسوعة الشعرية.

وحُجَّة الجمهور في قراءة: (الرياح) على الجمع أنه جاءت صفتها (لواقح) بالجمع، ولم يقل: (لاقحاً)(٨٨). فهي أقرب وأوضح في المعنى لتطابقه مع اللفظ، ويؤيدها حديثُ النبي ﷺ الذي تقدم في دعائه، حين قال: (اللهم اجعلها رياحاً، ولا تجعلها ريحاً).

قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي: أن الرياح لواقح، كما وصفها به جلَّ ثناؤه من صفتها(٨٩). والله تعالى أعلم.

النموذج الرابع: الاختلاف في: ﴿ قَدَّرۡنَآ ﴾

من قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾ [سورة الحجر: ٦٠].

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلف القرَّاء في قراءة ﴿ قَدَّرۡنَآ ﴾: فقرأ الجمهور ومنهم حفص عن عاصم بتشديد الدال هنا وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾ [النمل: ٥٧].

وقرأ أبو بكر من رواية عاصم بالتخفيف: (قدَرْنا) هنا وفي كل القرآن.

وقرأ ابن كثير وحده: (قدَرنا) بالتخفيف في قوله تعالى: ﴿ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴾ [الواقعة: ٦٠]، والباقون بالتشديد.

وقرأ الجمهور: ﴿ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴾ [المرسلات: ٢٣] بالتخفيف، وقرأ نافع والكسائي: (فقدَّرْنا) بالتشديد. وقرأ الجمهور: ﴿ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ٣] بالتشديد، وقرأها الكسائي وحده: (قدَرَ) بالتخفيف(٩٠).

---

(٨٨) انظر: حجة القراءات: ص: ٣٨٢، ومعاني القرآن للفراء: ٨٧/٢، وكتاب مشكل إعراب القرآن: ٧/٢.
(٨٩) انظر: جامع البيان: ٢٠/١٤.
(٩٠) كتاب السبعة في القراءات: ص: ٣٦٧، والكشف: ٣٢/٢، والنشر في القراءات العشر: ٢٢٧/٢.

ثانياً: التوجيه النحْوي:

قال الهروي(٩١): قدَّرنا وقدَرْنَا – بالتشديد والتخفيف – من التقدير، وهما لغتان بمعنىً(٩٢).

فمَن شدَّد (قدَّرْنا) كان الفعل على لفظ مصدره: قدَّر يقدِّر تقديراً، فهو مقدِّر.

ومَن خفَّف (قَدَرْنا) – من قَدَرَ المجرَّد – يكون من التقدير أيضاً، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الرعد: ٢٦]، أي: يُكثِر ويُقتِّر.

وقوله تعالى: ﴿ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴾ [الفجر: ١٦](٩٣)، أي: ضَيَّقَ عليه.

وجملة ﴿ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ – في الآية – مستأنفة. و(إن) معلقة لفعل (قدرنا) عن العمل في مفعوله. وأصل الكلام: قدَّرنا غبورها، أي: ذهابها وهلاكها.

والتعليق يطرأ على الأفعال كلها، وإنما يكثر في أفعال القلوب لأنه من خصائص هذه الأفعال، ويقلُّ في غيرها، فكسرت (إن). وقيل: هذا لا يصلح علة لتعليقها الفعل قبلها فقط، والعلة في كسرها وجود لام الابتداء التي لها صدر الكلام، ولولاها لفُتحتْ. لأنها مع اسمها وخبرها مفعول (قدَّرنا)(٩٤). وذهب ابن حيان إلى أن كسرَ (إنها) إجراءٌ لفعل التقدير مجرى العلم؛ إما لكونه بمعناه، وإما لترتبه عليه(٩٥).

---

(٩١) أبو عبيد أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الباشاني الهروي، باحث من أهل هراة في خراسان، له كتاب الغريبين غريب القرآن وغريب الحديث، وولاة هراة. توفي سنة ٤٠١ هـ. انظر: بغية الوعاة: ٣٧١/١، ووفيات الأعيان: ٢٨/١، والأعلام: ٢١٠/١.

(٩٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٧/١٠، وفتح القدير: ١٣٥/٣.

(٩٣) انظر: إعراب القراءات السبع وعللها: ٣٤٨/١.

(٩٤) انظر: التحرير والتنوير: ٦٢/١٤، والتبيان في إعراب القرآن: ص: ٥٠٢، وفتح البيان في مقاصد القرآن: ١٩٥/٥، وكشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات: ١٨/٢.

(٩٥) انظر: البحر المحيط: ٤٦٠/٥، وروح المعاني: ٦٧/١٤.

ثالثاً: التوجيه اللغوي:

التقدير: هو تحديد كل مخلوق بحدِّه الذي يوجد من حُسْنٍ وقُبْحٍ، ونَفْعٍ وضُرٍّ، وغير ذلك. والقدْر والتقدير: كلاهما تبيين كمية الشيء، فتقدير الله تعالى الأشياء على وجهين؛

أ – إما بالحكم منه أن يكون كذا أو لا يكون كذا، على سبيل الوجوب، أو الإمكان، فيجعلها على قدْرٍ ووجه مخصوصيْن، حسبما اقتضت الحكمة، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ [المرسلات: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٣].

ب – وإما بإعطاء القدرة عليه، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [الواقعة: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨](٩٦).

وأصل التقدير: جعْلُ الشيء على مقدار الكفاية. وقيل: هو جعلُ الشيء على مقدار غيره، لتظهر المساواة والمباينة(٩٧).

قال أبو علي الفارسي: يقال: قدَرْتُ الشيء في معنى قدَّرْتُه، يدلك على ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي(٩٨):

ومُفرِهَةٍ عَنْسٍ قَدَرْتُ لرِجلِهَا فَخَرَّتْ كما تَتَّابَعُ الريحُ بالقَفْلِ

والمعنى: قدَّرتُ ضربتي لساقها فضربتها، فحذف ضربتُها لدلالة الكلام عليه(٩٩). ويأتي (يَقدِرُ) في معنى (يُقدِّرُ). ومنه قول الراجز:

---

(٩٦) انظر: الكليات: ص: ٢٨٣، و٧٠٧، والمفردات في غريب القرآن: ص: ٣٩٥.

(٩٧) انظر: فتح القدير: ١٣٥/٣، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٦٩/١١.

(٩٨) أبو ذؤيب الهذلي، خويلد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة، أخو بني مازن بن معاوية بن تميم بن سعد، جاهلي إسلامي، وكان راوية لساعدة بن جؤية الهذلي، وخرج مع عبد الله بن الزبير في مغزى نحو المغرب فمات. وذكر العيني بعدما نسبه إلى هذيل أنه كان مسلماً على عهد رسول الله ﷺ ولم يرَه. وقيل: إنه مات بأرض الروم، ودفن هناك. انظر: ديوان الهذليِّين: ص: ٩٣، والموسوعة الشعرية.

(٩٩) قوله: ومفرهة: يعني ناقةً تأتي بأولادها فواره. وعنسٍ: صلبة شديدة. قدرت لساقها: أي هيأت وضربت برجلها، فخرَّت لما عرقبتها. والقفل: النبت اليابس، فيقول: خرَّت هذه الناقة حين ضربت رجلها، كما تمر الريح باليبيس فيتبع بعضه بعضاً. ديوان الهذليِّين: ص: ٣٨.

يا رَبِّ قد أُولِعَ بي وقد عَبِثْ   فاقْدِرْ له أُصَيْلَةً مثل الحفِثْ(١٠٠)

موضع الشاهد: (فاقْدِرْ له)، والمعنى: (قدِّر له). ويقال: قدَر الشيء يَقْدُره: إذا ضيَّقه. قال تعالى: ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ [الطلاق: ٧]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓ ﴾ [العنكبوت: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، أي: ظنَّ أن لن نضيِّق عليه. وكونه في بطن الحوت تضييق عليه، وخلاف الاتساع(١٠١).

رابعاً: التفسير:

أخرج ابن أبي حاتم(١٠٢) عن قتادة(١٠٣) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾ [الحجر: ٦٠] أي: الباقين في عذاب الله تعالى(١٠٤). وقدَّرنا: أي علمنا وقضينا وحكمنا وكتبنا إنها من الباقين، وقيل: دبَّرنا، ثم هي مُهلَكَة بعدُ في العذاب مع الكفرة. والغابر: الباقي والماضي، وهو من ألفاظ الأضداد. قال الشاعر(١٠٥):

فما ونى محمد مُذْ أنْ غَفَرْ   لهُ الإلهُ ما مضى ومَا غَبَرْ

---

(١٠٠) قائل هذا الرجز مجهول. والحَفِثُ: حية عظيمة كالحراب، والأصيلة: تصغير أصلة، وهي حية ضخمة عظيمة قصيرة الجسم. والأَصلَة: للأفعى. انظر: الحجة للقراء السبعة: ٤٨/٥.

(١٠١) انظر: الحجة للقراء السبعة: ٤٩/٥.

(١٠٢) عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، مولده سنة ٢٤٠ هـ، من كبار حفاظ الحديث، كان منزله في درب حنظلة بالري، وإليهما نسبته. وفاته سنة ٣٢٧ هـ. له تصانيف منها: الجرح والتعديل، والتفسير، والمسند. انظر: تذكرة الحفاظ: ٤٦/٣، وفوات الوفيات: ٢٦٠/١، والأعلام: ٣٢٤/٣.

(١٠٣) أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عُزيز السدوسي البصري، ولد سنة ٦١ هـ، مفسر حافظ ضرير أكمه، قال فيه أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث رأساً في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، وكان يرى القدر، وقد يدلّس في الحديث. مات بواسط في الطاعون سنة ١١٨ هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: ١١٥/١، ووفيات الأعيان: ٤٢٧/١، والأعلام: ١٨٩/٥.

(١٠٤) انظر: فتح القدير: ١٣٦/٣، وروح المعاني: ٦٧/١٤.

(١٠٥) الشاعر: العجاج. والبيت في جامع البيان: ١٩٨/١١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٤٦/٧، ومجاز القرآن: ٢١٩/١. والعجاج هو: أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة (الراجز المشهور) بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، راجز مجيد من الشعراء، ولد في الجاهلية، وقال الشعر فيها، ثم أدرك الإسلام وأسلم، وعاش إلى أيام الوليد فأفلج وأقعد، وهو أول مَن رفع الرجز وشبهه بالقصيد. انظر: الموسوعة الشعرية.

موضع الشاهد: (فما ونى)، والمعنى: (وما بقي). وقال الشاعر:

لا تَكْسَعِ الشولَ بأغبارها   إنك لا تدري مَنِ الناتجُ(١٠٦)

موضع الشاهد: (الأغبار)، وأصله من الغبرة: وهي بقية اللبن في الضرع(١٠٧).

وقد أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم، مع كونه من فعل الله سبحانه، لما لهم من القرب والزلفى والاختصاص بالله تعالى الذي ليس لأحد غيرهم، أو أنهم رسل الله وواسطة بينه وبين خلقه. كما تقول خاصة الملِك للملك: دبَّرْنا كذا، وأمرْنَا كذا، وإنما يَعْنُون دبَّر الملِكُ وأمَر. هذا إذا كان (قدَّرنا) بمعنى أردنا وقضينا، وإن كان بمعنى علمنا، فلا غرو علم الملائكة ذلك، بإخباره إياهم به. ويحتمل أن يكون حكاية عنه تعالى. وهو الظاهر لاستغنائه عن التأويل(١٠٨).

قال الزمخشري(١٠٩): فإن قلتَ: لِمَ جاز تعليق فعل التقدير في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴾ [الحجر: ٦٠]، والتعليق من خصائص أفعال القلوب؟

قلتُ: لتضمُّن فعل التقدير معنى العلم، ولذلك فسَّر العلماء تقدير أعمال العباد بالعلم(١١٠).

---

(١٠٦) ينسب هذا البيت للشاعر: الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي، شاعر جاهلي من أهل بادية العراق، وهو أحد أصحاب المعلقات، كان أبرص فخوراً، ارتجل معلقته بين يدي عمرو بن هند الملك بالحيرة، جمع بها كثيراً من أخبار العرب ووقائعهم، حتى صار مضرب المثل في الافتخار، فقيل: أفخر من الحارث بن حلزة. انظر: الموسوعة الشعرية.

(١٠٧) معنى تكسع: تضرب الدبر باليد، والشول: الناقة التي مضى على حملها أو وضعها سبعة أشهر فجفَّ لبنها. انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠/٣٧، وفتح القدير: ٣/١٣٥، وروح المعاني: ١٤/٦٧، ومعاني القرآن وإعرابه: ٣/١٨٢، ولسان العرب: ٢/٣٣، والقاموس المحيط: ص: ٩٨٠، و١٣٢٠، والموسوعة الشعرية.

(١٠٨) انظر: فتح القدير: ٣/١٣٥، والكشاف: ٢/٣٩٤، وكتاب التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/١٤٧، وتفسير الخازن: ٣/٩٥، وفتح البيان في مقاصد القرآن: ٥/١٩٥، ومحاسن التأويل: ١٠/٣٧٦٠.

(١٠٩) جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري. من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب. ولد في زمخشر سنة ٤٦٧ هـ، ورحل إلى مكة فجاور بها زمناً فسُمِّي جار الله، ثم عاد إلى الجرجانية، وتوفي بها سنة ٥٣٨ هـ. من أشهر كتبه: الكشاف في التفسير، وأساس البلاغة، والمفصل. كان معتزلياً، مجاهراً شديد الإنكار على المتصوفة. انظر: وفيات الأعيان: ٢/٨١، ومفتاح السعادة: ١/٤٣١، والأعلام: ٧/١٧٨.

(١١٠) انظر: الكشاف: ٢/٣٩٤.

قال الألوسي(١١١): أما أنا فلا أُنْكِرُ على (جار الله) -الزمخشري- أن التعليق لتضمُّنِ معنى العلم، وإنما أُنْكِرُ نفي كونه مقدوراً مراداً، وإنما أنكره لأنه اعتزال تأباه الظواهر.

ومن هنا قال إبراهيم النخعي فيما أخرجه عنه ابن أبي حاتم: (بيني وبين القدرية هذه الآية، وتلاها)(١١٢).

خامساً: توجيه القراءات:

قراءة الجمهور بالتشديد من: (قدَّر يقدِّر تقديراً)، فكان الفعل على لفظ مصدره. وقراءة أبي بكر عن عاصم بالتخفيف من: (قدَر يقدر) من التقدير والتقتير(١١٣).

والقراءتان بمعنىً. وزيادة المبنى في التشديد تدلُّ على زيادة المعنى. ومعناها هنا في العلم والقضاء والحكم والتدبير أبْيَنُ وأعمُّ وأشمل وأقرب من معنى التقتير والتضييق.

النموذج الخامس: الاختلاف في: ﴿ يَرَوْاْ ﴾، و﴿ يَتَفَيَّؤُاْ ﴾

من قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ [سورة النحل: ٤٨].

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

اختلف القرَّاء في قراءة: ﴿ يَرَوْاْ ﴾؛ فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم بالياء على الغيب، وقرأ حمزة والكسائي بالتاء: (تَرَوا) خطاب لجميع الناس.

---

(١١١) شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي نسبة إلى (آلوس) جزيرة في وسط الفرات. مفسر ومحدث وأديب من المجددين. مولده في بغداد سنة ١٢١٧ هـ، ووفاته فيها سنة ١٣٧٠ هـ. كان سلفي الاعتقاد، مجتهداً، تقلَّد الإفتاء ثم عزل، وانقطع للعلم. من أشهر تصانيفه: روح المعاني في التفسير، ودقائق التفسير، والخريدة الغيبية، ومقامات في التصوف والأخلاق. انظر: الأعلام: ٧/١٧٦.

(١١٢) المعتزلة: أصحاب واصل بن عطاء الغزَّال، الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وخالفوا أهل السنة والجماعة في مسائل عقدية عديدة، أهمها: القول بالقدر، بمعنى أن الإنسان خالق لأفعال نفسه، والقول بالمنزلة بين المنزلتين، بمعنى أن صاحب الكبيرة ليس مؤمناً مطلقاً ولا كافراً مطلقاً، كما أن لهم آراء في صفات الذات، ورؤية الله تعالى في الآخرة، وفي الفريقين من أصحاب الجَمَل وصِفِّيْن، وغير ذلك. انظر: روح المعاني: ١٤/٦٧، والملل والنحل: ١/٥٤-٦١، والتعريفات: ص: ٢٨٢.

(١١٣) انظر: حجة القراءات: ص: ٣٨٤، والحجة في القراءات السبع: ص: ٢٠٧.

واختلفوا في قراءة: ﴿ يَتَفَيَّؤُاْ ﴾؛ فقرأ الجمهور بياء وتاء على تذكير معنى الجمع، وقرأ أبو عمرو البصري: بتاءين (تَتَفَيَّؤاْ) على معنى تأنيث لفظ الجمع وهو الظلال(١١٤).

ثانياً: التوجيه النحْوي:

الخطاب في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ ﴾ بياء التذكير على الغَيبة. وبالتاء: (أولَم تَرَوا) بالخطاب إلى الحاضرين على نسق ما قبله.

وحُجَّة مَن قرأه بالياء ﴿ يَتَفَيَّؤُاْ ﴾ أنه – وإن كان جمعاً – فلفظه لفظ الواحد، كقولك: جدار، وعِذار. ولذلك ناسب جمعُ التكسير الواحدَ، لأنه معرَبٌ بالحركات مثله.

وحُجَّة مَن قرأ بالتاء (تَتَفَيَّؤا) على تأنيث الجمع الذي في الفاعل(١١٥)، وأنه جمع (ظِلّ)، وكل جمع خالف الآدميين فهو مؤنث، وإن كان واحده مذكراً. دليله قوله تعالى في الأصنام: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، فأنَّث لمكان الجمع. كما تقول: هذه المساجد، وهذه الظلال(١١٦).

وقراءة (يَتَفَيَّؤا) بياء التذكير لأن تأنيث فاعله مجازي غير حقيقي، فجاز تذكير الفعل وتأنيثه.

والتفيُّؤ تفعُّل، من فاء يفيء إذا رجع. وفاء قاصر، فإذا أُريد تعديته عُدِّي بالهمزة، كقوله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ [الحشر: ٧]. أو بالتضعيف، نحو: فيَّأ الله الظلَّ فتفيَّأ. وتفيَّأ: فعل مضارع، ماضيه: فَيَأ، فهو فعل لازم(١١٧).

---

(١١٤) انظر: كتاب السبعة في القراءات: ص: ٣٧٣، والكشف: ٣٧/٢، والنشر في القراءات العشر: ٢٢٨/٢.
(١١٥) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٧٢/١١، والتبيان في إعراب القرآن: ص: ٥٠٩.
(١١٦) انظر: حجة القراءات: ص: ٣٩١، والحجة في القراءات السبع: ص: ٢١١.
(١١٧) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: ٢٤٩/٥.

ثالثاً: التوجيه اللغوي:

الخطاب في قوله تعالى: (أَوَلَمْ تَرَوا) بتاء الخطاب لجميع الخلق. وفي قوله تعالى: (أَولَمْ يرَوا) بإرجاع الضمير إلى الذين مكروا السيئات في قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [النحل: ٤٥]، واحتمل أن يكون إخباراً عن المكلفين. والأول أظهر لتقدم ذكرهم. والاستفهام هنا للإنكار. وهذه الرؤية لمَّا كانت بمعنى النظر وُصِلتْ بـإلى، لأن المراد منها الاعتبار.

والاعتبار لا يكون إلا بنفس الرؤية البصرية التي يكون معها النظر إلى الشيء ليتأمل أحواله، ويتفكرَ فيه ويعتبرَ به(١١٨).

وقوله تعالى: ﴿ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ ﴾ أي يتنقَّل ويميل ويدور من جانب إلى جانب، فيكون أول النهار على حال ويتقلَّص، ثم يعود في آخر النهار على حالة أخرى.

والظلال: جمع ظل، وهو صورة الجسم المنعكس إليه نور(١١٩).

والظل: ضد الضَّحِّ، وهو أعمُّ من الفيء. يقال: ظِلُّ الليل، وظِلُّ الجنة. ويقال لكل موضع لم تصل إليه الشمس ظلٌّ، ولا يقال الفَيء إلا لما زالت عنه الشمس. ويعبَّر بالظل عن العزَّة والمنَعة، وعن الرفاهة.

وقوله: ﴿ يَتَفَيَّؤُاْ ﴾ أي: إنشاؤه يدل على وحدانية الله تعالى، وينبئ عن حكمته(١٢٠).

---

(١١٨) انظر: روح المعاني: ١٥٣/١٤، وفتح البيان في مقاصد القرآن: ٢٤٩/٥.
(١١٩) انظر: التحرير والتنوير: ١١١/١٣.
(١٢٠) انظر: المفردات في غريب القرآن: ص: ٣١٤.

قال الأزهري(١٢١): تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار، فالتفيؤ لا يكون إلا بالعشي، وما انصرفت عنه الشمس والقمر. والذي يكون بالغداة هو الظلّ، وهو ما لم تنلْه الشمس.

وقال الشاعر حميد بن ثور(١٢٢) يصف سرحة، وكنَّى بها عن امرأة:

أبَى الله إلا أن سرحةَ مالك   على كلِّ أفنان العِضَاه تَروقُ
فلا الظلَّ منها بالضحى تستطيعه   ولا الفئَ منها بالعشي تذوقُ

ويقال للظل بالعشي: فيء، لأنه مِن فاء يفيء إذا رجع من المغرب إلى المشرق.

والفيء: الرجوع. والظلُّ يرجع على كل شيء من جوانبه، فذلك تفيؤه(١٢٣).

وقال ثعلب(١٢٤): أُخبِرتُ عن أبي عبيدة أن رؤبة(١٢٥) قال: كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظلٌّ(١٢٦). وذلك أن الشمس من طلوعها إلى وقت الزوال تنسخ الظل، فإذا زالت رجع، ولا يزال ينمو إلى أن تغيب.

---

(١٢١) أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، مولده في خراسان سنة ٢٨٢ هـ، ووفاته فيها سنة ٣٨٠ هـ، نسبته إلى جده الأزهر، عني بالفقه واشتهر به، ثم غلب عليه التبحر بالعربية، فرحل في طلبها، وقصد القبائل، ووقع في إسار القرامطة. من كتبه: تهذيب اللغة، وتفسير القرآن، وغريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء. انظر: مفتاح السعادة: ٩٧/١، والوفيات: ٥٠١/١، والأعلام: ٣١١/٥

(١٢٢) أبو مثنى حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري، شاعر مخضرم، عاش زمناً في الجاهلية، وشهد حنيناً مع المشركين، وأسلم ووفد على النبي ﷺ ومات في خلافة عثمان. وقيل: أدرك زمن عبد الملك بن مروان. وعدَّه الجمحي في الطبقة الرابعة من الإسلاميين، له ديوان شعر مطبوع. انظر: الإصابة: رقم الترجمة: ١٨٣٠، والشعر والشعراء: ص: ١٤٦، والأعلام: ٢٨٣/٢، والموسوعة الشعرية.

(١٢٣) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٠٢/٢.

(١٢٤) ثعلب: هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار الشيباني بالولاء. إمام الكوفيين في النحو واللغة، كان راوية للشعر محدثاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة. ولد سنة ٢٠٠ هـ، ومات سنة ٢٩١ هـ في بغداد إثر إصابته بصمم، فصدمه فرس فسقط في هوة، وتوفي إثرها. من كتبه: الفصيح، وقواعد الشعر، ومجالس ثعلب، ومعاني القرآن. انظر: بغية الوعاة: ٣٩٦/١، والأعلام: ٢٦٨/١.

(١٢٥) رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحَّاف أو أبو محمد، راجز من الفصحاء المشهورين من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره، ويقولون بإمامته في اللغة. مات في البادية سنة ١٤٥ هـ، وقد أسنَّ. وفي الوفيات: لما مات رؤبة قال الخليل: دفنَّا الشعر واللغة والفصاحة. الموسوعة الشعرية.

(١٢٦) انظر: فتح القدير: ١٦٦/٣، والبحر المحيط: ٤٩٦/٥، وروح المعاني: ١٥٤/١٤.

واختُلِف في الفيء: فقيل: هو مطلق الظل سواء كان قبل الزوال أو بعده، وهو الموافق لمعنى الآية ههنا. وقيل: ما كان قبل الزوال فهو ظلٌّ فقط، وما كان بعده فهو ظلٌّ وفيء، فالظلُّ أعمُّ. وقيل: بل يختص الظلُّ بما قبل الزوال، والفيء بما بعده. وهو المشهور.

وقوله: (ظلاله) جمع ظلّ، وإنما أضاف الظلال - وهو جمعٌ - إلى المفرد - وهو قوله: (من شيء) - لأنه واحد يراد به الكثرة، ومعناه الإضافة إلى ذوي الظلال. والضمير فيه يعود على (ما)، أو على (شيء)(١٢٧).

رابعاً: التفسير:

لما خوَّف الله سبحانه الماكرين بما خوَّف، أتبعه بذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير أحوال العالم، ودعا إلى النظر والاعتبار بهذه الآثار، فيخبر تعالى عن عظمته وجلاله وكبريائه الذي خضع له كل شيء، ودانت له الأشياء والمخلوقات بأسرها؛ جماداتها، وحيواناتها، ومكلفوها من الإنس والجن، والملائكة، فأخبر أن كل ما له ظلٌّ يتفيَّأ ذات اليمين وذات الشمال - أي: بكرة وعشياً - فإنه ساجد بظلِّه لله تعالى. قال مجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عزَّ وجلَّ. وقال مجاهد أيضاً: سجودُ كل شيء فيؤُه(١٢٨).

فطلب الله من عباده التفكر في خلق الكائنات ليستدلوا بها على وجود الخالق، ومنها الجبال والأشجار التي يتمايل ظلُّها يميناً وشمالاً ساجدة مسبحة بحمده.

---

(١٢٧) انظر: تفسير الخازن: ١١٧/٣، وفتح البيان في مقاصد القرآن: ٢٤٩/٥، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٥/٢.

(١٢٨) أخرجه ابن جرير. انظر: جامع البيان: ١١٥/١٤، وتفسير ابن كثير: ٥٦٩/٢، وفتح القدير: ١٦٥/٣، والدر المنثور: ١٢٠/٤.

ولابن عاشور لطيفةٌ في معنى سجود الظلال، فيقول: إن الله خلقها من أعراض الأجسام الأرضية، فهي مرتبطة بنظام انعكاس أشعة الشمس عليها، وانتهاء الأشعة إلى صلابة وجه الأرض، حتى تكون الظلال واقعة على الأرض وقوع الساجد. فإذا كان من الناس مَن يأبى السجود لله، أو يتركه اشتغالاً عنه بالسجود للأصنام فقد جعل اللهُ مثالَه شاهداً على استحقاق الله السجود إليه شهادة رمزية. ولو جعل الله الشمس شمسين متقابلتين على السواء لانعدمت الظلال. ولو جعل وجه الأرض شفَّافاً أو لامعاً كالماء لم يظهر الظل عليه بيِّناً. فهذا من رموز الصنعة التي أوجدها الله وأَدَقَّها دِقَّة بديعة.. لِحِكَمٍ مجتمعة؛ منها: دلالتها على انفراده بالإلهية، وحاجة المخلوقات إليه، وأنَّ كل الأشياء تسجد لله تعالى، لأن ظلالها واقعة على الأرض في كل مكان(١٢٩).

ومن خصائص النبي ﷺ أنه كان إذا مشى لم يكن يُرى له ظلّ. كما أخرج الحكيم الترمذي عن ذكوان أن رسول الله ﷺ لم يكن يُرى له ظلٌ في شمس ولا قمر. قال ابن سبع: من خصائصه ﷺ أن ظلَّه كان لا يقع على الأرض، وأنه كان نوراً، فكان إذا مشى في الشمس أو القمر لا يُنظَر له ظلٌّ. قال بعضهم: ويشهد له حديث؛ قوله ﷺ في دعائه: ((واجعلني نوراً))(١٣٠).

خامساً: توجيه القراءات:

حُجَّة قراءة الجمهور بالياء: (أَوَلَمْ يَرَوا) أنهم جعلوا الألف للتوبيخ، فكأنه قال لهم موبِّخاً: ويحهم: كيف يكفرون بالله، وينكرون البعث، ويعرضون عن آياته، وهم يرون الطير مسخرات، وما خلق الله من شجر ونبات، وما بدأه من الخلق؟ أفليس مَن خلق

---

(١٢٩) انظر: التحرير والتنوير: ١٣/١١١.

(١٣٠) ذكر هذا السيوطي في خصائصه نقلاً عن الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، ولم أقف عليه عند الحكيم. كما لم ترد هذه الخصوصية في شيء من الصحيح. انظر: الخصائص الكبرى: ١/١٦٩-١٧٠.

شيئاً مِن غير شيء، فأنشأه وكونّه، ثم أماته فأفناه قادراً على إعادته، بأن يقول له: عُدْ إلى حالتك الأولى؟(١٣١).

كذلك فإنهم ردُّوه على لفظ الغيبة التي قبله، في قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [النحل: ٤٥]، وهو أدلُّ مِن جعله خطاباً لجميع الخلق. ولأنه جريٌ على سنن واحد في الغيبة(١٣٢).

وحُجَّة مَن قرأ بالتاء: أراد معنى مخاطبتهم وتقريرهم بآيات الله وبدائع خلقه، وقد سبق قبلها: ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ٤٧]. كذلك فإن الفعل إذا تقدَّم جاز التذكير منه(١٣٣). وفي توجيه قراءة: ﴿ يَتَفَيَّؤُاْ ﴾: نلحظ أن الدلالات والحجج في جواز تذكير الفعل أبين وأقوى. والله تعالى أعلم.

---

(١٣١) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص: ٢١١.

(١٣٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١١١/١٠، وإتحاف فضلاء البشر: ص: ٣٥١، والكشف: ٣٨/٢.

(١٣٣) انظر: حجة القراءات: ص: ٣٩١.

الخاتمة وأهم نتائج البحث

في ختام هذا البحث المتواضع، ومن خلال تناول الآثار المختلفة للقراءات المذكورة فيه، يمكن تلخيص نتائجه في النقاط التالية:

١- الاختلاف في القراءات لا يحمل أيَّ معنى لتناقض أو تضادٍّ، ولا تصادم أو تعارض لمدلول أيٍّ من المفردات، إنما يتمخَّض عن نبع وهطل، وتدفّق وإرواء، لآثار هذا التشريع ومصادره، بما يفيض فيه من معانٍ ودلالات.

٢- اختلاف القراءات وتعدد الروايات يحمل في طيَّاته حِكَماً تشريعية جليلة، وفوائد علمية عظيمة، تدعو الباحثين إلى إماطة اللثام عنها، وتبيانها واكتشاف حِكَمِها وعللها، لتضاف إلى الثروة التشريعية رصيداً ثميناً.

٣- القاعدة: (اختلافهم رحمة واسعة، وإجماعهم حجة قاطعة) تتجلى واضحة في اختلاف القراءات، فلا يحمل الاختلاف معنى الخلاف بما يجرُّ المخالِف إلى الفُرقة والخصام، ويؤدي بخلافه إلى الشقاق والنزاع. إنما يتمثَّل في تحقيق معنى الرحمة والسعة، والتخفيف ورفع المشقة. قال الله تعالى: ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء: ٨٢]، وفرق كبير في معنى الاختلاف هنا في هذه الآية عن الذي تضمَّنه اختلافُ القراءات، وهو الذي تنزَّه كلام الله تعالى عن تضمُّنه.

٤- اختلاف القراءات المتواترة يقدِّم لعلماء اللغة والفقه والتفسير مادة علمية هامة في رفد هذه العلوم وغيرها، بما حوته تلك القراءات من آثارٍ تعمِّق شمولية التشريع، وتؤكد منهجية الإسلام، وصلاحيته لكل زمان ومكان.

٥- البحث في أوجه اختلاف القراءات وبيان أثرها الفقهي أو اللغوي أو التفسيري هو لون من ألوان بيان الإعجاز القرآني الذي يتدفق على كرِّ الأيام ومرِّ الزمان عطاءً وإثراءً، ويبقى الباب مفتوحاً أمام الباحثين لتقصِّي هذه الدلالات، واستنباط

تلك الإشارات، والتي لا يُتصوَّر نفادُها، ولا يُعقَل جفافُها. قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا **﴾ [الكهف: ١٠٩].**

٦- وإن كان لا بدَّ من توصيات؛ فآمل أن تضاف في كليات الشريعة وأصول الدين مادةٌ تتناول هذا الموضوع لعظيم مكانته وأهميته.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث

أولاً: المراجع المطبوعة:

١- إتحاف فضلاء البشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى، ١٤١٩-١٩٩٨.

٢- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ومعه الاستجابة في أسماء الصحابة لابن عبد البر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٥.

٣- إعراب القراءات السبع وعللها، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني النحوي، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العيثمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٢.

٤- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط/ثانية، ١٩٨٦.

٥- إنباه الرواة على أنباء النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القرطبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، ط/أولى، ١٤٠٦-١٩٨٦.

٦- الاختلاف بين القراءات، د/ أحمد محمد إسماعيل البيلي، دار الجيل، بيروت، والدار السودانية للكتب، الخرطوم، ط/أولى، ١٤٠٨-١٩٨٨.

٧- البحر المحيط، أثير الدين أبو حيان الأندلسي، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ثانية، ١٤١٤-١٩٩٠.

٨- البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، دار ابن كثير، بيروت، ١٣٨٨-١٩٦٧.

٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط/ثانية، ١٣٩٩-١٩٧٩.

١٠- تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، الحافظ البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.

١١- التبيان في إعراب القرآن المسمى: (إملاء ما منَّ به الرحمن)، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق سعد كريم الفقي، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط/أولى، ٢٠٠١.

١٢- التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.

١٣- تذكرة الحفاظ، الإمام أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، نشر مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٩٠-١٩٧٠.

١٤- تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق حسين إبراهيم زهران، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢-١٩٩٢.

١٥- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الإمام فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر الرازي، دار الفكر، بيروت، ط/أولى، ١٤٠١-١٩٨١.

١٦- تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي، تحقيق عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، طبع على نفقة أمير دولة قطر، ط/أولى، ١٣٩٦-١٩٧٦.

١٧- تقريب التهذيب، الحافظ ابن حجر العسقلاني، عناية محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، ط/رابعة، ١٤١٢-١٩٩٢.

١٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط/ثالثة، ١٣٨٨-١٩٦٨.

١٩- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣-١٩٩٣.

٢٠- جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط/خامسة.

٢١- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٢٢- حجة القراءات، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ثانية، ١٣٩٩-١٩٧٩.

٢٣- الحجة في القراءات السبع، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/سادسة، ١٤١٧-١٩٩٦.

٢٤- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق بدر الدين القهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط/أولى، ١٩٨٤.

٢٥- خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦.

٢٦- الخصائص الكبرى المعروف بكفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٧.

٢٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الحافظ جلال الدين السيوطي، نشر محمد أمين دمج، بيروت، ١٨٩٦.

٢٨- ديوان أمية بن أبي الصامت، تحقيق عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٧٧.

٢٩- ديوان الهذليين، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥.

٣٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، عناية علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى، ١٩٩٤.

٣١- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، عناية أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى، ١٩٩٤.

٣٢- شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، عالم الكتب، بيروت.

٣٣- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، مراجعة محمد عبد المنعم العريان، تقديم حسن تميم، نشر دار إحياء العلوم، بيروت، ط/سادسة، ١٤١٧-١٩٩٧.

٣٤- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٦-١٩٥٦.

٣٥- ضعيف الجامع الصغير وزيادته: (الفتح الكبير)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٩.

٣٦- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناجي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٣-١٩٦٤.

٣٧- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤.

٣٨- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، عني بنشره ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، ط/ثالثة، ١٩٨٢.

٣٩- فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب صدِّيق بن حسن بن الفتوحي البخاري، مراجعة عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، نشر دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، ١٤١٠-١٩٨٩.

٤٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر للطباعة والنشر، ط/ثالثة، ١٣٩٣-١٩٧٣.

٤١- فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣.

٤٢- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢-١٩٩١.

٤٣- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ثانية، ١٣٩٣-١٩٧٣.

٤٤- كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى، ١٤٠٥-١٩٨٥.

٤٥- كتاب الدرر اللوامع همع الهوامع شرح جمع الجوامع في العلوم العربية، أحمد بن الأمين الشنقيطي، ١٣٢٨-١٩١١.

٤٦- كتاب الزهد، الإمام هناد بن السري، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط/أولى، ١٤٠٦-١٩٨٥.

٤٧- كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط/ثانية، ١٤٠٠-١٩٨٠.

٤٨- كتاب العظمة، أبو الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، تحقيق رضاء الله محمد بن إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ١٤١١.

٤٩- كتاب فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب، الحافظ شيرويه بن شهردان بن شيرون الديلمي، تحقيق فواز أحمد الزمرلي ومحمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط/أولى، ١٤٠٧-١٩٨٧.

٥٠- كتاب مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، ط/ثانية.

٥١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة، ١٩٧٢.

٥٢- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات، علي بن الحسن الباقولي، تحقيق عبد القادر عبد الرحمن السعدي، دار عمار، عمان، ٢٠٠١.

٥٣- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، تحقيق محيي الدين رمضان، نشر مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٤.

٥٤- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق د/ عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط/ثانية، ١٤١٣-١٩٩٣.

٥٥- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن، دار المعرفة، بيروت.

٥٦- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط/ثالثة، ١٩٩٤.

٥٧- مباحث في علوم القرآن، منَّاع القطَّان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط/ثانية، ١٤١٧-١٩٩٦.

٥٨- مجاز القرآن، صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي، عارضه بأصوله وعلق عليه د/ فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٧٤-١٩٥٤.

٥٩- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط/أولى، ١٣٧٦-١٩٨٧.

٦٠- المستدرك على الصحيحين، الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى، ١٤١١-١٩٩٠.

٦١- مسند الإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ويليه ترتيب مسند الإمام، رتَّبه سنجر بن عبد الله الناصري، حققه د/ رفعت فوزي عبد المطلب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط/أولى، ١٤٢٦-٢٠٠٥.

٦٢- معالم التنزيل في التفسير والتأويل، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٥-١٩٨٥.

٦٣- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزَّجَّاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٤.

٦٤- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط/ثانية، ١٩٥٥.

٦٥- معجم الأدباء: (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣.

٦٦- معجم البلدان، ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى، ١٩٩٠.

٦٧- معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢.

٦٨- معرفة القرَّاء الكبار على الطبقات والأعصار، الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، ط/أولى، ١٩٩٧.

٦٩- مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٧.

٧٠- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧١- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٧٢- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تصحيح أمين سليم الكردي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ثانية.

٧٣- موسوعة الملل والنحل، أبو الفتح الشهرستاني، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨١.

٧٤- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبو عبد الله محمد بن أحمد عثمان الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر الجديدة، ١٣٨٢-١٩٦٣.

٧٥- النشر في القراءات العشر، الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، تخريج الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى، ١٩٩٨.

٧٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، ط/ثانية، ١٤١٣-١٩٩٢.

٧٧- الوجيز في علوم الكتاب العزيز، د/ محمد خازر المجالي، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمَّان، ط/ثانية، ١٤٢٦-٢٠٠٥.

٧٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩.

ثانياً: الأقراص المدمجة: (CD):

١. المصحف للنشر المكتبي، إنتاج شركة حرف، إصدار: ١،٠.

٢. موسوعة الحديث الشريف، إنتاج شركة حرف، إصدار: ٢،١.

٣. الموسوعة الشعرية، إنتاج المجمع الثقافي، أبو ظبي.